

كتاب جماعي حول «التبراع» شعر النساء الحسانيات

في باريس كاترين تين الشيخ، إحدى أبرز المختصات باللسانيات الحسانية، لهذا المشروع مكن من إعداد دراسة أكاديمية رصينة حول «التبراع» تضع القارئ في سياق هذا النوع الشعري وخصوصياته.

وتابع صاحب الكتاب أن هذا المشروع الذي ساهمت فيه مجموعة عمل متكاملة من المغرب وفرنسا وموريتانيا وأشرفت أكاديمية المملكة على إخراجها ودعمه في مرحلتها الإعداد والطبع، يشتمل -إلى جانب المترجم- على صور وتسجيل موسيقي وإلقاء للأبيات الشعرية.

من جانبها أكدت الأستاذة الجامعية بكلية اللغات والفنون والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة ابن زهر باكاير عزيزة عكيدة في تصريح لها أن الهدف من هذا العمل الأدبي يتجلى أساسا في توثيق وصيانة موروث الثقافة المغربية في بعدها الصحراوي، لاسيما هذا النمط من الشعر الذي طاله النسيان لأنه مرتبط بفتة النساء، بالنظر إلى إكراهات المجتمع التقليدي المتصلة بمفهوم الحياء.

ولفتت عكيدة إلى أن المرأة الصحراوية تتبوأ مكانة متميزة جعلتها شريكة ومساهمة في الثقافة الصحراوية، سواء العامة أو العاملة، غير أنها ظلت مغيبة عن التجربة الفصيحة. وأضافت أن المرأة الصحراوية وجدت في شعر «التبراع» متفنا تعبر فيه المرأة عن كل ما يؤرقها وعن حالتها النفسية، إضافة إلى القضايا القومية والإنسانية.

الكتاب دراسة أكاديمية حول شعر «التبراع» وخصوصياته ويضم صورا وتسجيلات موسيقية وإلقاء للأبيات الشعرية

كما ركزت الأستاذة الباحثة في كلمتها بمناسبة اليوم الدراسي على تعريف هذا النوع الشعري وتفكيك جوانبه اللغوية والدلالية، مروراً بالبعد الاجتماعي الذي تنطوي عليه أبيات «التبراع» ووصولاً إلى المراحل التي مر بها هذا النوع الأدبي.

وعن الجانب الموسيقي للمشروع قال الباحث المتخصص في اقتصاد الثقافة وعلم الموسيقى والمشرق على الإخراج الموسيقي للقصائد المسجلة أحمد عيدون «حاولنا أن نقرب من الصوت الطبيعي للموسيقى دون استعمال المحسسات الصوتية التي يدخلها الموسيقون عادة».

وأضاف عيدون «عملنا على الربط بين المقامات الموسيقية التي تعرف بـ«أزوان» وبين المنظومات الشعرية، منوهاً إلى أن معجزة شعر «التبراع» تنهل من اللغة الفصيحة مقرونة بمصطلحات أمازيغية وزنجية.

وتخللت هذا اليوم الدراسي، الذي حضرته ثلة من المتخصصين في الأدب الحساني والمهتمين بالثقافة المغربية عموماً، قراءات شعرية لأبيات من شعر «التبراع» مرقفة بوضلة موسيقية.



نساء الصرارة يخلدن ثقافة عريقة

الرباط - تتميز المرأة الصحراوية عن غيرها من النساء بالكثير من الصفات، إذ لديها طقوسها الخاصة في العيش والحياة، هذا إلى جانب طرقها للتعبير عما يعتمل بداخلها والبوح بعواطفها، في تمرد على تقاليد المجتمعات الصحراوية المحافظة التي وإن حظيت فيها المرأة بمكانة خاصة فإنها لا يمكن لها الجهر بحبها والتغزل بمحبوبها، إلا بشكل متنكر وعبر وسيلة أدبية تعرف بـ«التبراع».

ونظراً إلى أهمية شعر «التبراع» أصدرت أكاديمية المملكة المغربية كتاباً شاملاً حوله، ترميناً لهذا الإرث الثقافي الهام.

وتخلت الأكاديمية مؤخراً بالرباط يوماً دراسياً لتقديم الكتاب الجماعي «التبراع.. الشعر النسائي الحساني» الذي قام بتنسيق مواد الباحث رحال بويريك، في إطار مساعيها لتوثيق التراث الصحراوي بالأقاليم الجنوبية للمملكة وتعزيز مكون الثقافة الحسانية في الهوية الوطنية.

ويعد هذا الكتاب الذي يوثق الأشعار الصحراوية للنساء في الأقاليم الجنوبية ثمرة مجهود جماعي شارك فيه عدة باحثين، من خلال جمع القصائد أو المقطوعات الشعرية وتصنيفها، ثم ترجمتها وإخراجها في قالب موسيقي. ويعبر شعر «التبراع» عن مشاعر نسوية معجبة بجمال وشجاعة ووفاء الرجل ومناقبه، مع استعراض معاناة النساء من لوعة المشاعر وما تلقينه من الألم.

وفي كلمة بمناسبة افتتاح هذا اليوم الدراسي قال أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية عبد الجليل لحجمري إن «هذه الظاهرة تأتي في إطار الاحتفاء باليوم العالمي للشعر، وتروم تجسيد وصيانة مختلف تعابير الثقافة الحسانية بالأقاليم الجنوبية، تماشياً مع مقتضيات دستور 2011».

وأكد على ضرورة المحافظة على هذا الشعر النسائي وتوثيقه ونشره، بالظفر إلى المكانة الاجتماعية المركزية التي يتبوؤها في الثقافة الحسانية، حيث يشكل «ديوان الناطقين بالحسانية الذي حفظ اللغة وأرخ للوقائع ويتوفر على قوة كبيرة في التعبير عن المشاعر والعواطف».

وأضاف لحجمري أن المصادر القديمة تخاضت عن ذكر أسماء شاعرات «التبراع»، ذلك أن الشعر يوح لا نستسيغه الأعراف والتقاليد، غير أن النساء أبدعن هذا النوع من النظم، الذي تميز -في غرضه- عن باقي أنماط الشعر، لأنه غزل موجه للرجل».

من جهته أبرز منسق مشروع كتاب «التبراع»، الأستاذ الجامعي بمعهد الدراسات الأفريقية التابع لجامعة محمد الخامس - الرباط رحال بويريك، أن هذا العمل يدخل ضمن الجهود الرامية إلى توثيق التراث المادي وغير المادي في فضاء المغرب الصحراوي، مضيفاً أن «الكتاب يعد ثمرة مجهود جماعي بدأ بعملية تجميع المتن، التي شملت أكثر من ألف تبريع» تم انتقاء 100 تبريعاً نموذجية منها، وشرحها على نحو مقتضب باللغة العربية الفصحى، ثم ترجمتها إلى اللغة الفرنسية».

وأشار بويريك إلى أن تقديم الأستاذة والباحثة بالمركز الوطني للبحث العلمي

ويوضح الكاتب المصري الشاعر هشام مبارك أن التلاعب بمشاعر القارئ يعد محاولة رخيصة من جانب متوسطي المواهب، فالكتابة الساخرة من أرقى أنواع الكتابة ولا يلقى أبداً أن تنحدر للاستعانة بتركيبات تحمل تلميحا جنسياً أو إشارة إلى لفظ خارج.

ودعا في تصريح لـ«العرب» إلى الاستفادة من إسهامات جيل الرواد من أمثال محمد عفيفي ومحمود السعدني وأحمد رجب، فكل واحد من هؤلاء لم ينحدر بالكلمة لما يمكن تسميته بـ«لغة الشوارع».

ويعتقد أن القارئ يبحث عن الكلمة الساخرة الممتعة بعيداً عن إفارة الغرائز؛ فالموضوعات التي تضعها، كاتب، بين دفتي كتاب يعيش مع الناس طويلاً يجب أن تكون جذيرة بالبقاء وصالحة للسخرية من الأوضاع في كل زمان.

العناوين الغربية للكتب: إفلاس فكري أم ذكاء

الكتاب يلجأون إلى أساليب غير أدبية لاصطياد القراء



استمالة القراء بتركيبات غريبة (لوحة للفنان تحسين الزبيدي)

التافهة لبعض الكتب تعبر عن شريحة محددة من الجمهور وليس الجمهور ككل. ويضيف لـ«العرب» «بعيدا عن الرقابة الأخلاقية، يعني الاعتماد على العنوان وحده لترويج العمل الأدبي أو الفكري أن هذا العمل في حد ذاته غير قادر على جذب القارئ، فالعنوان جزء لا يتجزأ من بنية العمل الأدبي، وليس مجرد حلية خارجية له، وإذا كان ذلك العنوان مبتذلاً فالقارئ لا يمكنه أن يتجزأ من الأحوال أن يكون جيدا».

السخرية ليست إسفافاً

توجد عناوين كتب أدبية وفكرية تجاوزت النمطية وقدمت تركيبات غريبة، لكنها تحمل جمالا إبداعيا لافتا مثل عنوان المجموعة القصصية «حكاية رجل عجوز كلما حلم بمدينة مات فيها» للمصري طارق إمام، ورواية «قاف قائل. سين سعيد» للكوييني عبدالله البصيص، ورواية «حفرة إلى السماء» للسعودي عبدالله آل عياف.

إذا كان البعض يتصور أن العناوين المثيرة تتناسب مع مجال الأدب الساخر فهناك من يرون أن ذلك من التصورات الخاطئة تماماً بحكم ما قدمه جيل الرواد الأوائل من إسهامات شديدة التأثير دون الانجرار إلى استخدام اللفظ نابية أو مثيرة.

ويوضح الكاتب المصري الشاعر هشام مبارك أن التلاعب بمشاعر القارئ يعد محاولة رخيصة من جانب متوسطي المواهب، فالكتابة الساخرة من أرقى أنواع الكتابة ولا يلقى أبداً أن تنحدر للاستعانة بتركيبات تحمل تلميحا جنسياً أو إشارة إلى لفظ خارج.

ودعا في تصريح لـ«العرب» إلى الاستفادة من إسهامات جيل الرواد من أمثال محمد عفيفي ومحمود السعدني وأحمد رجب، فكل واحد من هؤلاء لم ينحدر بالكلمة لما يمكن تسميته بـ«لغة الشوارع».

ويعتقد أن القارئ يبحث عن الكلمة الساخرة الممتعة بعيداً عن إفارة الغرائز؛ فالموضوعات التي تضعها، كاتب، بين دفتي كتاب يعيش مع الناس طويلاً يجب أن تكون جذيرة بالبقاء وصالحة للسخرية من الأوضاع في كل زمان.

من القراء، والكثير منهم يقبلون على الأدب الساخر والعناوين المثيرة. ومثل هذه الأعمال قد تكون مطلوبة إلى جانب الأعمال الجادة الرصينة، لأنها تحقق مبيعات عالية في أوقات قياسية ما يسهم في توافر سيولة كافية تسمح بطباعة ونشر باقي الكتب واستمرار عملية النشر.

وهناك تصور يعضد ذلك مفاده أن العناوين المثيرة هي الأكثر اتساقاً مع ذوق الجمهور العام الذي مل من التكرار والاعتماد على العناوين التقليدية. ويرى أصحاب هذا الرأي أن الكثير من دول العالم تشهد تجارب غرائبية في الكتابة والعناوين والموضوعات، ولا حرج في استخدام أي عبارة أو مصطلح لغوي مادام مقبولاً ومدتواً.

ويقول الباحث والكاتب عمر فتحي عبد التواب إنه لا يجد مشكلة في استخدام عناوين مثيرة على الكتب مادامت تتفق مع القارئ ولا تحمل سبباً لأحد بعينه، وهو لا يبرر استخدام ما يعتبر عنواناً مثيراً بدعوى الانسجام مع ذوق الجمهور، لأنه قد يكون أكثر رقياً مما يمس ذوق الجمهور الذي شهد خلال السنوات الأخيرة انحداراً في الذائقة الثقافية.

ويشير عبد التواب في حديثه لـ«العرب» إلى ضرورة الاعتراف بأن مستوى لغة الحوار في المجتمع بشكل عام تدنت إلى درجة تداول اللفظ وتوصيفات عديدة تحط من شأن الرجل والمرأة والأسرة. وفي ظنه أن المجتمعات العربية، والمجتمع المصري كنموذج لها، سبق أن شهدت خلال مراحل معينة انحطاطاً في الذوق العام وانتشار أغاني ركيكة وتافهة.

ثمة من يرفض التحجج بذوق الجمهور لأنه لا توجد وسيلة للقياس، والتأكد مما إذا كان الجمهور بالفعل يريد ذلك أم لا، فضلاً عن التصور القائم بأن مهمة الإبداع الارتقاء بذوق الناس لا الخضوع لتصورات شرائح المجتمع الدنيا.

ويتساءل الكاتب والمترجم أحمد الخميسي إن كانت العناوين «المسقة» المتداولة مؤخرًا معبرة عن ذوق الجمهور؟ فم أجاب بتساؤل آخر: أي جمهور هذا الذي يتحدث باسمه البعض؟ متابعا «إن الحقيقة هي أن العناوين المثيرة

صار لمواقع التواصل الاجتماعي ولمجموعات القراء على الإنترنت تأثير كبير على عالم الأدب، حيث تروج بعض الكتب لا قيمتها وإنما مدى الجدل الذي تحدثه. وهذا ما أثر في الكتاب أنفسهم فباتوا يسعون إلى خلق الجدل ولفت الانتباه من خلال أي قضية مفتعلة، بينما تبدو الساحة الثقافية منقسمة بين من يرى ذلك ذكاءً وترويجياً ومن يراه إسفافاً.

وغرضها إشارة الجدل، وتحمل تلميحات جنسية تظهر بين الحين والآخر في سوق الكتاب.

كانت مصر قد شهدت بداية الانفلات في عناوين الكتب قبل نحو عشر سنوات، مع صعود الاهتمام بما يعرف بالأدب الساخر وسعي بعض الكتاب في ظل اتساع مواقع التواصل الاجتماعي إلى لفت الأنظار بأي وسيلة سواء كانت عبارات أو تركيبات غريبة، ومن أبرز أمثلتها كتب «رئيس جمهورية نفسي»، و«طر فيكم» للكاتب إيهاب طاهر، و«مزة إينوكس» للكاتبة جهاد النابلي. وامتدت العناوين بعد ذلك إلى الكتب العامة قرأنا كتاباً بعنوان «ولاد المرأة»، وهي لفظة سيئة في العامية المصرية وتحمل إهانة، للكاتبة ياسمين الخطيب، وآخر بعنوان «السلايكس ملهط» للكاتب الشاب قليبي فكري.

وتستوحى غالبية هذه النوعية من العناوين من العامية، وهذا لا يعني أنها موجهة للسطاء من القراء لكنها لجذب الانتباه أولاً ومحاولة تسلق مواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي تحقيق شهرة لصاحبها أو صاحبيتها حتى لو كانت زائفة أو مؤقتة. وتطورت موجة العناوين الغرائبية لتشمل قصصاً وروايات بتلميحات شديدة السطحية مثل «تزوجت أخى» للكاتبة فاطمة صالح، و«خيلتي العذراء حامل» للكاتب سيد المطعني، و«مودوزيل حتى التاسعة مساءً» للكاتبة مئة فؤاد.

يتصور البعض أن العنوان يمثل جانباً مهماً من عملية تسويق الكتاب، وأن هناك كتباً عديدة جيدة قد لا يلتفت إليها الجمهور بسبب نمطية عناوينها.

ويبدو أن دور النشر معزورة في الاضطرار إلى قبول أعمال تحمل أسماء مثيرة وغريبة عن المعتاد، بل وتضم محتوى ضعيفاً وبسيطاً بهدف تنشيط المبيعات وتعويض تراجعها. ويضم السوق أنماطاً متباينة

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة - أثار لجوء مؤلفين وكتاب من مختلف الأجيال إلى اختيار عناوين غريبة لافتة ومؤثرة لأحدث إصداراتهم من الكتب موجة من الجدل في الأوساط الثقافية.

وكان من الغريب أن يصدر الكاتب المصري الساخر أسامة غريب قبل أيام كتاباً ينتمي إلى الأدب الساخر عن دار «بيوك فالبو» بالقاهرة يحمل عنواناً غير معتاد هو «ما أقدرش أهز جامد من غير ما أقول لحامد»، حيث اعتبر البعض العنوان غير التقليدي محاولة للعودة إلى التأثير في سوق الكتاب بعد غياب طال سنوات، عقب النجاح الكبير الذي حققه كتاب سابق له حمل عنواناً ساخراً، هو «مصر مش أي دي مرات أبويا».

انفلات العناوين

يرى البعض أن قيام المؤلف بطرح عنوان غير معتاد لفت الأنظار يؤكد الذكاء في الخروج عن المسارات النمطية للعناوين والنجاح في إحداث ضجة يمكن أن تدفع القراء إلى الإقبال على العمل في سوق أقل ما يمكن وصفه بأنه بات شديد الإزدحام.

البعض يرى طرح المؤلف لعنوان غير معتاد لافتاً ذكياً لأنظار القراء وأخرون يعتبرون ذلك تافهة وركاكة وسطحية

على الجانب الآخر هناك من يعتبر العناوين اللافتة امتداداً لسمات التافهة والركاكة والسطحية الحاكمة للوسط الثقافي في مصر بشكل عام، حيث بدت جماعة من الكتاب أكثر حرصاً على إحداث الضجة من التأثير الحقيقي في القراء وصناعة المتعة والمعرفة. يمكن القول إن الكتاب الأحدث لغريب يدخل ضمن موجة عناوين متعمدة